## الفصل التاسع

# احفظ الله يحفظك

الحفاظ على الإيمان ألا تعصيه، والحفاظ على التقوى أن لا تغفل عنه أبداً، والاستعانة بالله تعالى أن لا تقنط من رحمته وتتوكل عليه حق الاتكال لأن عناء العمل ومحبته تعالى رحلة طويلة من الصبر والصدق والإخلاص والتوكل على الله ﷻ.

عن ابن عباس ﷺ قال: كنتُ خلفَ النبي ﷺ فقال: «**يا غلام إني أعلّمُكَ كلماتٍ احفظِ الله يحفظْك احفظِ الله تجدهُ تجاهكَ، وإذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنْتَ فاستعنْ بالله، واعلم أنّ الأمّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كتبهُ الله لكَ ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلامُ وجفت الصحف**»[1].

**شرح الحديث:**

سيد المرسلين وخاتم النبيين يعلم غلاماً ـ وهو ابن عمه ـ ويخاطبه بلسان الأستاذ المربي:

يا غلام: «**إني أعلمك كلمات ـ احفظ الله يحفظك**» ـ احفظ أوامر الله وأطعه فيما أمرك يحفظك من كل شر ويخرجك من كل ضيق أو ليس من يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، لأن المولى يمد من يطيعه بالعافية ويعينه على طاعته، لأنه جل وعلا يعطي المال لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا لمن يحب.

---

(١) صحيح رواه الترمذي.

واعلم يا غلام إذا أردت أن تسأل أحداً فلا تسأل إلا الله، لأن المولى يحب أن يسأل، قال الله تعالى لسيدنا موسى: يا موسى سلني حتى ملح طعامك وشراك نعليك. لأن سؤال العبد لسيده عز وسؤاله لغيره مذلة ما بعدها مذلة لأن المولى لا يمنَّ بعطائه، ولكن العبد يمنن وينسى أن هذا الفضل كله من عند الله تبارك وتعالى.

إن الناس إذا سئلوا فإما أن يعطوا، وإما أن لا يعطوا وهم إن أعطوا مننوا وتكبروا ونسبوا المعروف لأنفسهم، وإن هم منعوا أهانوا وأذلوا وأحطوا من كرامة السائل.

**«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء قد كتبه الله عليك»**.

أنعم النظر أيها العبد بهذه الأعطية العظيمة وهذا الفضل الكبير إذ الأمر كله بيد الله ﷻ لا يرفع ولا يخفض ولا يعز ولا يذل إلا الله.

كم من الجهلاء يظنون أن السعادة بيد المشعوذين فيذهبون ويدفقون الأموال ويضيعونها، والسبب هو البحث عن السعادة وهذا لا ينفع أبداً، لأنه لا سعادة بدون طاعته ورضا بقضائه، لأنه تعالى يقول لعباده: يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفّلت برزقك فلا تتعب.

## موجز عن حياة عبد الله بن عباس ﵄ حبر هذه الأمة

هذا الصحابي الجليل ملك المجد من أطرافه، فقد اجتمع له مجد الصحبة ومجد القرابة ـ فهو ابن عم رسول الله ﷺ ـ ومجد العلم فهو حبر هذه الأمة، ومجد التقى فقد كان صواماً بالنهار قواماً بالليل مستغفراً بالأسحار، بكاءً من خشية الله حتى خدّد الدمع خديه: إنه عبد الله بن عباس ﵄.

● ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولما توفي رسول الله ﷺ

كان له ثلاث عشرة سنة فقط، ومع ذلك حفظ للمسلمين عن نبيهم ألفاً وست مائة وستين حديثاً، أثبتها البخاري ومسلم.

ولما وضعته أمه حملته إلى رسول الله ﷺ فحنكه بريقه فكان أول ما دخل جوفه ريق النبي المبارك الطاهر ودخلت معه التقوى والحكمة، وما إن دخل سن التمييز حتى لازم رسول الله ﷺ ملازمة العين، فكان يعد له وضوءه ويصلي خلفه إذا وقف يصلي.

فسأله رسول الله ﷺ: **«ما منعك أن تكون بإزائي؟»**

فقال عبد الله: أنت أجلّ في عيني وأعز من أن أقف إلى جانبك يا رسول الله.

فرفع يديه إلى السماء فقال: **«اللهم آته الحكمة»**.

وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ فآتى الغلام الحكمة ما فاق به الحكماء.

## موقف عظيم من مواقف ابن عباس ؛ذ

فها هو ذا زيد بن ثابت ـ كاتب الوحي ورأس أهل المدينة في القضاء والفقه والقراءة ـ يهم بركوب دابته، فيقف الفتى الهاشمي عبد الله بن عباس بين يديه ويمسك له ركابه ويأخذ بزمام دابته.

فقال له زيد: دع عنك يا ابن عم رسول الله.

فقال ابن عباس: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بعلمائنا.

فقال زيد: أرني يدك، فأخرج له ابن عباس يده فمال عليها وقبلها، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

## أجيبت دعوة رسول الله ﷺ

وقد دأب ابن عباس على طلب العلم حتى بلغ منه مبلغاً أدهش الفحول، فقال به مسروق بن الأجدع أحد كبار التابعين:

كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.

وكان ابن عباس ﷺ يوزع العلوم على الأيام حتى لا يحدث على بابه زحام، فصار يجلس في الأسبوع يوماً لا يذكر فيه إلا التفسير، ويوماً لا يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً لا يذكر فيه إلا الشعر، ويوماً لا يذكر فيه إلا أيام العرب.

وما جلس إليه عالم قط إلا خضع له، وما سأله سائل قط إلا وجد عنده علماً.

## هو من الذين يعلمون ويعملون

ولم يكن ابن عباس ﷺ من الذين يقولون ما لا يفعلون وينهون الناس ولا ينتهون وإنما كان صوّام نهاراً قوّامٌ ليلاً.

أخبر عنه عبد الله بن مليكة قال: صحبت ابن عباس ﷺ من مكة إلى المدينة، فكنا إذا نزلنا منزلاً قام شطر الليل والناس نيام من شدة التعب، وقد رأيته ذات ليلة يقرأ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق، الآية: ١٩] فظل يكررها ويبكي حتى طلع عليه الفجر.

فما زال يبكي في جوف الليل من خشية الله حتى أحدث الدمع على خديه خطان أسودان من البكاء.

عمَّر ابن عباس إحدى وسبعين سنة ملأ فيها الدنيا علماً وحكمة وتقى، فلما أتاه اليقين صلى عليه محمد ابن الحنفية والبقية الباقية من صحابة رسول الله ﷺ، وفيما كانوا يصلون عليه سمعوا قارئاً يقرأ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠].

## نصيحة نورانية

قال أبو الدرداء ﷺ: اعبدوا الله ﷻ كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من

الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يُلهيكم، واعلموا أن البرَّ لا يبلى وأن الإثم لا يُنسى.

## نصيحة نبوية

روي عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن والمسلم والمجاهد والمهاجر: المؤمن من أمنهُ الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد في طاعة الله تعالى، والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا**»[1].

احفظ الله تجده تجاهك: أي تجده أمامك بالتأييد والنصرة منه تعالى، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء، وهذا مثل عظيم لمن اتقى الله وكان معه.

## العلاء بن الحضرمي ومشيه بجيوش المسلمين على وجه الماء

روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي.

قال أنس: وكنت في غزاته فأتينا مغازينا ـ أي مكان الغزوة ـ فوجدنا العدو قد عطلوا منابع الماء ودمروها.

قال أنس: وكان الحر شديد فأجهدنا العطش ـ أي اشتد علينا العطش ـ وذلك يوم الجمعة فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين، ثم مد يده إلى السماء وقال: يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ، فإذا تركناه لا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا.

فوالله ما حط العلاء يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً ونزلت الأمطار فشربنا وسقينا ركابنا وملأنا أوعيتنا، ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا إلى جزيرة في وسط البحر فوقف العلاء على الشاطىء ودعا فقال: يا علي، يا

(١) رواه ابن حبان الحاكم.

عظيم، يا حليم، يا كريم اللهم اجعل لنا سبيلاً إلى عدوك، ثم قال: أجيزوا - أي سيروا - بسم الله.

قال أنس: فسرنا على وجه الماء وما يبلُّ الماء حوافز إبلنا وأصبنا العدو فقتلنا وأسرنا، ثم أتينا الشاطىء.

فقال العلاء: ودعا بمثل مقالته الأولى فأجزنا وما يبل الماء حوافز دوابنا، فلم نلبث إلا يسيراً حتى توفى العلاء.

## حفظه الله بعد مماته

قال أنس: فحفرنا له وغسلناه ودفناه، فأتى رجل بعدما دفناه فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى - أي إنها أرض بركانية - فقلنا: ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله؟ فاتفقنا على نقله فحفرنا قبره فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا العلاء ليس في القبر، وإذا اللحد مد البصر يتلألأ نوراً.

فقد قال الحضرمي عند موته: اللهم اخف جثتي ولا تطلع عورتي على أحد[1].

## نصائح ربانية

قال الله تعالى في بعض الكتب: عبدي أنا ملك لا أزول فأطعني فيما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه حتى أجعلك حياً لا تموت.

عبدي: أنا الذي إذا أقول للشيء كن فيكون، ومن أطاع الله نصره وأيده ومن عصاه خذله وأذله، لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمَّد، الآية: ٧] ومن حفظ الله تعالى كان معه يعينه وينصره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل، الآية: ١٢٨].

---

(١) التقرب إلى الله.

## من أطاع الله أطاعه كل شيء

حُكِيَ أن إبراهيم بن أدهم ﷺ قال: مررت براعٍ، فقلت له: هل عندك شربة من الماء أو من اللبن؟

قال: أيهما أحب إليك؟ قلت: الماء.

قال: فضرب بعصاه حجراً صلداً لا صدع فيه فانبجس منه الماء فشربت منه وهو أبرد من الثلج وأحلى من العسل ونظرت متعجباً، فقال الراعي: لا تتعجب فإن العبد إذا أطاع الله أطاعه كل شيء.

## كلمات ناصعة

**«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله».**

عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الله ﷻ يقول: هل من داعٍ فأستجيب له دعاءه؟ هل من سائل فأعطيه سؤله هل من مستغفر فأغفر له؟»**

من كمال العبودية ترك سؤال الناس والتذلل على باب الملك لقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء، الآية: ٣٢] .

روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: **«سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل»**[1].

## فضل الاعتصام

وفي الخبر: من اعتصم بالله واستعان به، أحوج الله إليه الناس وأنطقه بالحكمة وجعله من ملوك الدارين، ومن اعتصم بمخلوق دونه ووكل إليه قلبه عذبه الله وقطع عنه أسباب الدنيا والآخرة.

## موسى والاعتصام

رُوي أن الله قال لموسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه، الآية: ٢٤] .

---

(١) رواه الترمذي.

فقال: يا رب أهلي وغنمي.

قال الله تعالى: إذا وجدتني فأي شيء تصنع بغيري؟

يا موسى: اذهب واعتصم واستسلم لي وفوِّض الأمور إليّ فإني جعلت الذئب راعياً لغنمك والملائكة حافظين لأهلك.

يا موسى: من أنجاك من اليم حين ألقتك أمك فيه؟ ومن ردّك إلى أمك بعده؟

ومن أنجاك من عدوّك فرعون حين قتلت نفساً؟

وهو يقول في ذلك كله: الله أنت يا الله أنت يا الله.

واعلم أنه من اعتصم بغيره أو بشيء من دونه فهو مخذول خارج من حد العبودية لأن حد العبودية ترك الاختيار إلى الجبار[1].

لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام، الآية: ١٧].

**كلمات شافية**

**«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك».**

قيل ليحيى بن معاذ الرازي: متى يطيب عيش المؤمن؟

قال: إذا رضي عن الله تعالى بكل ما قضى وقدَّر وحكم ودبَّر.

وقيل: متى يكون العبد راضياً عنه؟

قال: إذا قال العبد لربه: إلٰهي إن أعطيتني شكرت وإن منعتني رضيت وإن دعوتني أجبت وإن تركتني عبدت.

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله.

## همسات قدسية

وفي الخبر: أن أول ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ: «لا إله إلا الله محمد رسول الله من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر لنعمائي، كتبته صديقاً وبعثته يوم القيامة مع الصديقين، ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليختر رباً سواي»[١].

## الالتجاء إلى الله تعالى

حكي أن سيدنا موسى عليه السلام شكا ألم سنه إلى الله تعالى، فقال له: خذ الحشيشة الفلانية وضعها على سنك، ففعل فسكن الوجع في الحال، وبعد مدة عاوده ذلك الوجع فأخذ تلك الحشيشة ووضعها على السن فازداد الوجع أضعاف ما كان فاستغاث إلى الله تعالى وقال:

إلٰهي ألست أمرتني ودللتني عليها؟

فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى أنا الشافي وأنا المعافي وأنا الضار وأنا النافع، قصدتني في المرة الأولى فأزلت مرضك والآن قصدت الحشيشة وما قصدتني، يجب أن تتوكل على الله تعالى دائماً[٢].

## بعض المعاني القرآنية

قال بعض الحكماء في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة، الآية: ٣٨].

فقال الفقهاء: من سرق عشرة دراهم تقطع يده.

وليست لهذه العشرة حرمة حتى تقطع يد الرجل المؤمن لأجلها ولكن لسببين: لهتك حرمة المسلمين، ولأنه لم يرض بما قسم الله تعالى له ومال إلى مال غيره.

---

(١) تنبيه الغافلين.
(٢) حكايا الصوفية.

فأمر الله أن تقطع يده نكالاً بما كسب ليكون عبرة، ولكي يرضى بما قسم الله له.

## سخاء الله على الكفار

في كتاب نزهة المجالس قال: حضر مجوسي عند إبراهيم عليه السلام فجاءه بطعام، ثم قال: هل لك بالإسلام رغبة؟

فترك الأكل وانصرف فأوحى الله إليه: يا إبراهيم أنا أرزقه على كفره منذ أربعين سنة وأنت تريد أن ترده عن دينه بأكلة واحدة، فخرج إبراهيم عليه السلام في طلبه فوجده فأخبره بذلك.

فقال المجوسي: نِعم الرب رب يعاتب نبيه في عدوه، فأسلم ورجع إلى طعامه[١].

## حقيقة الإيمان

**«وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»**.

قال عليه الصلاة والسلام: **«إن لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»**، كم من بعض الجهال يذهبون للمشعوذين ظانين أن السعادة بيدهم، وإرسال الخير عن طريقهم وطرد الشر عن طريقهم وهذا أجهل ما في الحياة.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ليس منا من تطيّر ولا من تُطيّر له أو تكهن أو تُكهن أو سحر أو سحر له»**.

عن صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**[٢].

---

(١) كتاب نزهة المجالس.

(٢) رواه مسلم.

## وحي لسيدنا داود

بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاعي فوق خلقي لا يعتصم عبد من عبيدي بي دون خلقي فأعلم ذلك من قلبه فتكيده السمٰوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من ذلك مخرجاً، ورفعت الأقلام وجفت الصحف.

نعم كل شيء مقدور قبل خلق الإنسان والله يثبت ويمحو ما يشاء[١].

## حديث أبكى العلماء

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أنه: «**يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات**».

**فيقول: اكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد.**

**فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.**

**وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**[٢].

## ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

١ ـ نتعلم من هذا الحديث العظيم أنه على قدر حفظك حرمات الله تعالى يحفظك من الضرر في الدنيا والآخرة. وإنه معك في أي حال من الأحوال تكون إن كنت في سراء تشكره على نعمة يزيدك من فضله، وإن كنت في ضراء تصبر وتتحمل يجزيك أجر صبرك رضاً في الدنيا

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

ودرجات عالية في الآخرة.

٢ ـ إن مسألة العبيد ذل ومهانة ومسألة الله ﷻ عز وجاه وإنه تبارك وتعالى يحب عبده الملحاح.

أكثر أحدهم المسألة في دعائه فقال: يا رب إلى متى أدعوك ولم تستجب لي؟ فيهتف به هاتف: يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك.